باب التعريفات

كيف نترجم الاصطلاح INTUITION

بقلم الأستاذ محمود الخضيرى

رئيس مكتب البحوث الفنية بالجامعة الأزهرية

كنت منذ سنوات مضت أتحدث إلى عالم من علماء إيران ألمّ بلغتنا وبلغته كما ألم ببعض اللغات الأوربية . ووقف على الكثير من مسائل الفلسفة ودقائقها مما هداه إليه شغفه بالدرس ووجده بين المكتوب فى الفلسفة فى عدة لغات قديمة وحديثة . وكنت أقول له إنه من المستطاع أن نعبر بالعربية عن كل معنى فلسفى مما حدده أصحاب اللغات الأخرى . وشرعت أبين له ما تجلى من فضائل لغتنا على مر العصور عند التقاء الحضارات على مختلف وجوه الالتقاء وشعرت فى نفسى أنى وجدت موضوعاً للحديث يحل عقدة فى اللسان وخيل إلى أنى أستطيع الكلام فيه إلى ما شاء الله ولكن صاحبي قاطعنى بسؤال لعله كان يختلج فى نفسه منذ زمن طويل أو لعله كان ما كراً جداً فأراد أن يقاطعنى بهذا السؤال . قال ، وكان يخاطبنى بالفرنسية : كيف تنقلون إلى العربية كلمة intuition ؟

ولم أؤخذ على غرة بهذا السؤال لسبق نظرى فى ترجمة هذا الاصطلاح (مقال ديكارت عن المنهج ، راجع الفهرست) ولم أكن أول من تعرض لترجمته إلى العربية بل ترجمه من قبلى كثيرون على وجوه مختلفة . وجعلته بالعربية « البداهة » ولم أكن أول من اقترح هذا النقل ، بل سبقنى إليه المترجم التركى لمقال ديكارت . وأكثر الاصطلاحات الفنية فى اللغة التركية عربية .

وقبل كل شىء أريد أن أشير إلى وجود طريقتين عند المعاصرين ممن ينقلون عن اللغات الأوربية إلى لغتنا العربية . الأولى هى البحث فى الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى الذى يعبر عنه الاصطلاح الأوربى المراد ترجمته . وينبغى فى هذه الحالة التأكد من المطابقة بين المعنى الوارد عند القدماء والمعنى الذى يتكلم فيه الأوربيون فإذا لاحظنا تمام المطابقة جاز لنا أن نطلق على الشىء الاسم الذى

سماه به من عرفه من أصحاب اللغة . والطريقة الثانية يميل أصحابها الى اعتبار المعنى الأوربى شيئاً غير مألوف عند السابقين ويفضلون أن يطلقوا عليه اسماً يودون أن يفرض فرضاً .

والطريقة الأولى هى الغالبة ولكن تطبيقها لم يخلُ من أخطاء ناتجة عن سوء التعرف بالمعنى الذى ألفه السابقون أحياناً أو عن سوء التعرف بالمعنى الذى يقصده الأوربيون أحياناً أخرى أو سوء التعرف بكلاهما فى بعض الأحايين ، وهذه الحالة هى الطامة الكبرى وأشد أنواع الجهل تركيباً .

ولعل الذين يقعون فى النوع الأخير من أخطاء الترجمة لا يدركون مقدار الأمانة التى يتعرضون لحملها وينسون أنهم وسطاء فى التعامل بين أطراف من الخير والمصلحة والواجب أن تجرى بينهم المعاملة على قانون عادل سوى .

وأكثر الاختلاف فى ترجمة هذا الاصطلاح واقع عند ترجمته فى لغة ديكارت ولهذا فإنى أفضل أن أشرح كلام ديكارت فى هذا المعنى وأقتبس منه ما فيه تعريف دقيق .

يقول ديكارت بوجود طريقين للوصول إلى معرفة الأشياء دون خشية الوقوع فى الخطأ وهما الـ intuitus (وهو بالفرنسية intuition) ونحن نتعمد الآن عدم ذكره بالعربية) والقياس déduction .

ثم يعرف الـ intuition بما ترجمته : لا أعنى (par intuition) per intuitum شهادة الحواس المتغـــيرة ولا ما يتعلق بالخيال الكاذب من أحكام باطلة وإنما أعنى ما تتصوره النفس الخالصة المتنبهة تصوراً هو من السهولة والتميز بحيث لا يبقى أى شك فيما نفهمه أو تصور النفس الخالصة المتنبهة تصوراً ينشأ عن نور العقل وحده . ولما كان هذا التصور أبسط كان تبعاً لهذا أوثق من القياس نفسه ... وعلى هذا النحو يستطيع كل إنسان أن يدرك بالـ intuition أنه موجود وأنه يفكر وأن المثلث محدود بثلاثة خطوط وأنه ليس للكرة إلا سطح واحد وما شابه ذلك من الأمور التى هى فى الواقع أكثر عدداً مما يعتقد الجمهور » ثم يقول ديكارت أيضاً : إن هذا اليقين وهذه الثقة المختصين بالـ intuition لا يلزمان لمجرد القضايا البسيطه وإنما يلزمان أيضاً لأنواع مختلفة من الحجج : فمثلا : إذا صح أن ٢ + ٢ تساوى ٣ + ١ فإنه لا ينبغى الاقتصار على أن ندرك بالـ intuition أن ٢ + ٢ = ٤ وأن ٣ + ١ = ٤ بل ينبغى أيضاً أن تكون القضية الثالثة نتيجة ضرورية لهاتين القضيتين »

(*Regulae* etc. III, *Oeuvres* T. X· 368-9)

ولما كان من الضرورى التعرض لتعريف المعنى الذى يقابل معنى الـ intuition والذى

يعتبره ديكارت الطريق الثانى للوصول إلى الحقيقة ، وهو ماسماه بالـ Déduction وجعلناه بالعربية « القياس » فإننا نكتفي بأن نلخص تعريفه إياه من كلامه أيضاً . فهو يقول فيه : إن القيـاس هو نحو من أنحاء المعرفة يصـدق على كل نوع من الاستنتاج على شرط أن تقترن به الثقة واليقين (نفس القاعدة ص ٣٦٩) .

وفى الواقع أن ديكارت يعنى بالقيـاس ما يصح تسميته باسم الاستنباط أو الاستنتاج على العموم أى استخراج النتائج من المقدمات بشتى الطرق المعروفة فى المنطق (القياس والاستقراء والتمثيل الخ) .

فلننظر الآن فى الاصطلاحات العربية الموضوعة ترجمة لاصطلاح intuition لنستبعد منها ما نراه غير صالح . فمن هـذه كلمة « الحدس » وقد استعملها كثيرون عند الـكلام على هذا المعنى على حسب ما عرّفه ديكارت . وظن الذين استعملوا هذه الترجمـة أنهم يعتمدون على سبق استعمال القدماء من الفلاسفة الإسلاميين لهذه الـكلمة . ولكننا نرى أن هذه الترجمة ليست بشىء وأن المقصود بالحدس شىء مختلف عن المقصود بالـ intuition ذلك أن « الحدس » فى الفلسفة الإسلاميـة لا يعدو الدلالة على التخمين . وأصل الاصطلاح فى الواقع هو « حسن الحدس » ترجمـة للكلمة اليونانية Eustochia . εὐστοχία . واشهر موضع ذكر فيه هذا المعنى هو كتاب « البرهان » لأرسطو . (Anal. post. I, 34 89b 10) وهذه ترجمته العربيـة بقلم بشر بن متى كما هي محفوظة فى مخطوط المـكتبة الأهليـة رقم ٢٣٤٦ ورقة ٢٢٢ ظهراً « وأما الذكاء فهو حسن حدس ما يكون فى وقت (كلمة غامضة) للبحث عن الأوساط » .

وإذا رجعنا إلى نص أرسطو استطعنا أن نصحح هذه الترجمة أو أن نوضحها على نحو ما يلى : « الذكاء هو حسن حدس به يستكشف الحد الوسط فى وقت واحـد » أو بعبارة أخرى « هو إصابة الحد الأوسط فى وقت واحد إصابة جيدة » ويعبر عنه ابن سينا فى منطق الشفاء كما يأتى : الحدس جودة حركة لقوة الفهم إلى اقتناص الحد الأوسط من تلقاء نفسها » والمثال الذى يعطيه أرسطو فى هـذا الموضع من كتاب البرهان هو نفس المثال المشهور الذى يورده مناطقة العرب وهو على نحو ما يشرحه ابن سينا أقرب ما يكون إلى ترجمة النص وذلك عند ما يقول : « مثل أن يرى الإنسان القمر وأنه إنمـا يضىء من جانبه الذى يلى الشمس على أشكاله فيقتنص ذهنـه بحدسه حداً أوسط وأن سبب ضوئه من الشمس » كما أن ابن سينا يعبر عن أول ما ذكرناه من نصوص ابن سينا بقوله « الذكاء جودة حدس من هـذه القوة تقع فى زمان قصير غير ممهل » (منطق الشفا مخطوط المتحف البريطانى ص ١١٢ ب) .

والجدير بالملاحظة هنا هو أن « الذكاء » ترجمة لكلمة ἀνχίνοια agnchinoia التى تترجم بالفرنسية عادة بكلمة vivacité de l'esprit وهى فى الترجمة اللاتينية Sagacitas

أما الوقت الواحد أو الزمان القصير غير المهمل الذى يقع فيه الحدس الجيد فليس المقصود به نفى سلسلة القياس وترتيب الاستنتاج ، كما هو ظاهر . بل الحدس داخل فى عملية القياس وهو مرحلة فيها . وهو على العموم حركة إلى إصابة الحد الأوسط إذا وضع المطلوب أو إصابة الحد الأكبر إذا أصيب الأوسط ، وبالجملة سرعة الانتقال من معلوم إلى مجهول (منطق النجاة لابن سينا ، الطبعة المصرية الأولى ص ١٣٧)

ومعنى المثال الذى ذكره أرسطو هو أن من يرى تشكل استنارة القمر ويلاحظ اختلاف هذه الاستنارة فى شكل على حسب قرب القمر من الشمس أو بعده فيستنتج أنه يستفيد نوره من الشمس . ففى هذا الاستنتاج حدس جيد .

ونلاحظ أن أصل الاصطلاح العربى هو الحدس الجيد أو الحدس الحسن وذلك ما يضاهى حقا الكلمة اليونانية المركبة التى هى εὐστοχία وإنما اختصرت الكلمة عند بعض الفلاسفة الإسلاميين اختصارا ربما كان هو السبب فى سوء فهم المتأخرين لمعناها الأصلى . ولكن الكلمة بقيت على حالتها بدون اختصار فى علم الكلام .

ومن جهة أخرى فإن المناطقة من المسلمين يميلون فى الغالب إلى اعتبار القضايا الحدسية نوعا أقرب ما يكون إلى القضايا التجريبية . قال ابن سينا : « ومما يجرى مجرى المجربات الحدسيات وهى قضايا مبدأ الحكم بها حدس من النفس قوى جدا فزال معه الشك وأذعن له الذهن » (منطق الإشارات ص ٥٧ من طبعة ليدن)

ونحن نعرف أن القضايا التى يحكم بها الإنسان على النحو الذى يسميه ديكارت باسم الـ intuition ليست قضايا تجريبية ، بل هى قضايا عقلية محضة .

ثم إن الفلاسفة الإشراقيين كانوا أصرح فى تمييزهم بين الحدسيات والقضايا العقلية الأولية . فقال السهروردى المقتول مثلا : « والحدسيات على قاعدة الإشراق لها أصناف أولها المجربات . . ومن الحدسيات المتواترات . . . وحدسياتك ليست حجة على غيرك إذا لم يحصل له من الحدس ما حصل لك » (حكمة الإشراق طبع طهران ص ١٢١ إلى ص ١٢٣) .

من كل هذا نستنتج أن الحدس لا يصلح أن يكون ترجمة لـ intuition لأن لكل منهما معنى مختلف كل الاختلاف عن معنى الآخر . ولا يسمح تاريخ الفلسفة كما لا تسمح اللغة بإطلاق اسم الحدس على معنى الـ intuition ،

وذهب آخرون إلى استعمال كلمة الذوق مستمدين هذه الكلمة من استعمال الصوفية وهذا أيضاً مذهب غير صائب لأن الصوفية استعملوا هذه الكلمة للدلالة على حالة شعورية لايمكن التعبير عنها . ولا يمكن وصفها بالبيان ولا التدليل عليها بالبرهان . وكلمة الذوق أصلح أن تستعمل فى ترجمة الكلمة الألمانية Erlebnis أو ترجمة الـ intuition فى معنى قريب من المعنى الصوفى (راجع كتاب التدبيرات الإلهية لابن العربى تحرير نيبرغ Nyberg. ص ١١٤ — ١١٥ ووازن بكلام برجسون فى مقاله المشهور Introduction à la Métaphysique

وأخيراً فإن الاصطلاح الذى نرى أنه أفضل من غيره للدلالة على الـ intuition كما عرفه ديكارت هو « البداهة » أو «البديهة » وهو الاصطلاح الذى استعملناه نحن منذ أكثر من خمس عشرة سنة وكان قد استعمله المترجم التركى لمقال ديكارت من قبلنا وتابعنا فى استعماله أيضا المترجم الإيرانى الحديث

والدليل على أفضلية هذه الترجمة هى التعريفات الآتية :

قال أبو هلال العسكرى : البديهة أول النظر والروية آخر النظر . والنظر يكون فكرة وبديهة . والفكر ما عدا البديهة (الفروق اللغوية ص ٥٨)

وينبغى أن ننتبه إلى معنى الفكر فى هذا الموضع وغيره من كلام السابقين . فالفكر حركة انتقال منطقى من موضوعات حاضرة إلى المطلوبات . وبذلك يظهر التقابل بين الاستنتاج النظرى وبين البديهة ؟ وهذا مايعدل التقابل عند ديكارت بين البداهة والقياس

وأيضاً فإن الراغب الأصفهانى عرف البديهة بأنها معرفة ثاقبة تجىء بلا فكر ولا قصد وهو قد جعل المقابل لها الروية ، كما أنه استعمل البديهة والبداهة على حد سواء (الذريعة ص ٦٠ — ص ٦١)

وأكثر من هذا فلنتأمل كلام النسفى وشارحه السعد التفتازانى ولننتبه إلى الأمثلة التى يضربانها ولنتذكر أمثلة ديكارت . قال النسفى والشرح للتفتازانى: « (ما ثبت منه) أى من العلم الثابت بالعقل (بالبديهة) أى بأول التوجه بغير احتياج إلى التفكر (فهو ضرورى كالعلم بأن كل شىء أعظم من جزئه) فإن بعد تصور معنى الكل والجزء والأعظم. (وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابى) » . (العقائد النسفية ص ٣٣ من طبعة الاستانة).

ولست متعصباً لكلمة البداهة لأننى استعملتها من قبل ولكن لأننى أرى تمام مطابقتها للمعنى الذى يقصده ديكارت وأرى أن غيرها مما اقترح حتى الآن لايتفق مع هذا المعنى .

وينبغى فيما عدا هذا أن تتنبه إلى شتى المدلولات لهذا الاصطلاح الذى يتسع فيدل على الإدراك المباشر فيحتاج حينئذ إلى التخصيص بالنسبة إلى العقل أو إلى الحس على حسب موضوع المعرفة . ومما لاشك فيه أن ديكارت يعنى الإدراك العقلى المباشر . وعندما يستعمله الصوفية فإن الغموض يكتنفه من كل جانب والألمان يستعملون للدلالة عليه فى هذه الحالة كلمة Erlebnis وقد يستعملها غير الألمان وأصلح الألفاظ العربية للتعبير عنها هو الذوق .

ولا داعى لاستعمال « الوجدان » إذ كثيراً ما يدل هذا اللفظ عند العرب على نوع من الإحساس الداخلى هو المسمى بالفرنسية sensation cénesthésique مثل شعور الإنسان بحالة أعضائه أو بأنه جائع أو عطشان وما شابهه وقد يدل على شعور الإنسان بوجود نفسه على حال من الأحوال ؟

محمود الخضيرى

المجموعة الثالثة من مصطلحات علم النفس

استبصار insight; intuition (١) أن يدرك المريض نفسياً أو عقلياً حالته المرضية على حقيقتها ، كأن يدرك من يشكو من تسلط فكرة عليه أن ليس لهذه الفكرة أساس معقول . ويدل زوال الاستبصار على تفاقم حالة المريض فى حين أن عودته دليل فى الغالب على تحسن الحالة .

(٢) وتستعمل مدرسة الجسطالت Gestalt لفظ insight بالمعنى الآتى : الإدراك الفجائى لما ينطوى عليه الموقف من دلالة ، بدون الاعتماد على الخبرة السابقة . ويظهر الاستبصار فى أثناء التعلم عند ما يهبط الخط البيانى للتعلم دفعة واحدة ، أى عندما يدرك الشخص طبيعة الموقف على حقيقته بعد فترة ، طويلة أو قصيرة ، من المحاولات الفاشلة . ويقول أبو الهلال العسكرى فى الفروق اللغوية ص ٦٤ : الاستبصار هو أن يتضح له الأمر حتى كأنه يبصره .

وترجمنا اللفظ الانجليزى insight باللفظ الفرنسى intuition لأن اللفظين مطابقان من حيث التركيب اللغوى intuere, to see in وهو لفظ لاتينى معناه أيضا « نظر فى » . وتوضيحاً لمعنى هذين اللفظين سنورد أهم التعريفات التى وردت فى قاموس Warren وقاموس English فى علم النفس وقاموس Lalande وقاموس Runes فى الفلسفة .

يشترك اللفظان فى معنى الإدراك العقلى المباشر الفجائى ، غير أن intuition يفيد لدى بعضهم معنى الإدراك العقلى الفطرى

يذكر لالند خمسة معان لـ iutuition . وينصح بعدم استعماله على حدة إلا عندما يقصد به الإدراك العقلى المباشر السريع لموضوع فى حقيقته الفرديه ، أى الإدراك المباشر للعينيات ، وفى هذا المعنى يقترح استعمال « استبصار » أما المعانى الأخرى فينصح لالند باستخدام évidence بداهة ، كما فى فلسفة ديكارت ، أو instinct غريزة ، أو divination حدس أو فراسة

ويعرف Runes الـ intuition إدراك الشخص لذاته إدراكا مباشراً ، أو لحالاته الشعورية أو لغيره من العقول ، أو للعالم الخارجى ، أو للكليات ، أو للقيم والحقائق العقلية